**موقف بعض الزوايا والطرق الصوفية بالجنوب الشرقي الجزائري وتونس**

**من مسألة مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.**

أ/ ليلى تـيــتــه- جامعة باتنة

**مقدمــــة:**

تقر العديد من المصادر التاريخية بالدور الكبير الذي لعبته بعض الزوايا والطرق الصوفية في توطيد العلاقات بين سكان التخوم في الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.ومن هذه الطرق يأتي الحديث عن التيجانية والرحمانية،القادرية والسنوسية،...ومع التطور التاريخي لنشاط هذه الطرق والزوايا وعلاقاتهم المتبادلة وموقف الإستعمار الفرنسي -أثناء الفترة الإستعمارية- من ذلك بكلا البلدين،سنحاول من خلال هذه المداخلة التعرف عن مواقفهم من مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا في مواجهة فرنسا.وعليه،سنحاول الإجابة عن العديد من التساؤلات من قبيل:كيف كانت طبيعة العلاقات بين الطرق الصوفية والزوايا بالمنطقتين؟كيف تطورت؟ما كان موقف الإستعمار الفرنسي من ذلك؟ثم:لماذا دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا؟كيف كانت طبيعة نشاطها الدعائي داخل الجزائر وتونس أثناء الحرب؟كيف واجهت السلطات الإستعمارية الفرنسية هذا النشاط الدعائي خاصة وما موقع الزوايا والطرق الصوفية بالبلدين في هذه السياسة؟وفي الأخير:أي من الطرفين العثماني والفرنسي حقق النتائج المرسومة؟.

1**- طبيعة العلاقة بين بعض الزوايا والطرق الصوفية بجنوب شرق الجزائر وتونس قبل الحرب العالمية الأولى وموقف الإستعمار الفرنسي من ذلك:**

لدراسة طبيعة العلاقة بين الزوايا والطرق الصوفية بجنوب شرق الجزائر وتونس قبل الحرب العالمية الأولى ركزنا على أربع طرق بحسب أهميتها لموضوعنا المدروس:

- الرحمانية(1188هـ/1774م): تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمن القشوطي الإدريسي الحسن الأزهري (1720م-1794م) من قبيلة آيت اسماعيل بجرجرة.كانت تعتبر من أوسع الطرق انتشارا في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية إذ كان لها فروع في الشرق والجنوب من أشهرها زاوية الهامل ببوسعادة،زاوية الحملاوي وباشتارزي في قسنطينة،زاوية خنقة سيدي ناجي ببسكرة،وزاوية طولقة**[[1]](#endnote-1)**.عند احتلال بســـــكرة (1843 م– 1844م) هاجر مصطفى بن محــــــمد بن عزوز (حيث كان ولاء شيــــــوخ الطريقة في فروع :طولقة – أولاد جلال – الأوراس – خنقة سيدي ناجي – الهامل – وادي سوف لهذا الأخير) إلى نفطة بتونس وأسس بها زاوية رحمانية أصبحت ذات شهرة واسعة سيما قبل احتلال تونس سنة 1881م إذ نجح في اجتذاب عدد كبير من الناس إلى الطريقة،وانتشر صيته. كان للشيخ مصطفى بن عزوز أولادا عدة منهم من بقي في الجزائر ومنهم من انتقل إلى تونس وأنشأ بها زوايا أيضا هم:الحفناوي الذي خلفه على زاوية نفطة ومحمد الذي أسس زاوية بالقيروان،والمكي الذي هاجر إلى المشرق وعمل في نطاق الجامعة الإسلامية.من تلامذة بن عزوز نذكر عبد الحفيظ الخنقي مقدم الرحمانية في خنقة سيدي ناجي ونواحيها الذي أبقى على ولائه لفرع الرحمانية بنفطة.عن هذه الطريقة،لاحظ الباحثون الفرنسيون تشكل فروع أخرى للفرع أيضا،فزاويتا نفطة والخنقة مثلا ظهر لهما فروع في الكاف وتوزر والقيروان،وقد بلغ عدد جملة الإخوان لهاتين الزاويتين (نفطة والخنقة)-حسب نفس المصدر- ما يقارب -أربعة عشرة ألف شخص**[[2]](#endnote-2)**.

عن زاوية نفطة وشهرتها،ترجع المصادر سبب ذلك إلى كونها قد كانت مدرسة للتعليم إذ يكمل رجالها تعليمهم بجامع الزيتونة ويتولون الوظائف الدينية كالقضاء والتعليم بالإضافة إلى الدور الديني والإجتماعي.من أشهر خرجيها الذين وفدوا إليها من بسكرة،تبسة،الوادي وتقرت:الجزائريان المكي بن عزوز والأخضر بن الحسين،عاشور الخنقي كما هرب إليها بعض الثوار أمثال ناصر بن شهرة وشريف ورقلة ونزل فيها محي الدين بن الأمير عبد القادر سنة (1870م – 1871م)**[[3]](#endnote-3)**.

بعد ثورة 1871م أضطهدت الطريقة الرحمانية،وهدمت زواياها الواقعة في المناطق الثائرة وتفرعت إلى فروع وفقدت مركزيتها بعد هدم زاوية "صدوق" بزعامة الشيخ الحداد،ونفي زعمائها إلى خارج الجزائر، وجزء منها نفي إلى تونس (فرع المقرانيين)،ولكنها كانت أكثر الطرق انتشارا بين الجزائر وتونس فعدد زواياها حسب المستشرق راين 177،وعدد أتباعها 156.213 **[[4]](#endnote-4)**. أمام هذه الأمور،تمكن الفرنسيون بعد احتلال تونس من إحداث تنافس بين زاويتي طولقة ونفطة أو بين الحفناوي والحسين أخ علي بن عثمان شيخ زاوية طولقة وانتهى الخلاف بينهما إلى الإنفصال،وبقيت الخصومة بين الفرعين (طولقة – ونفطة)حتى بعد اختفاء الحسين والحفناوي**[[5]](#endnote-5)**.

- التيجانية(1230هـ/1814م): تنسب إلى مؤسسها أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني،وهو من مواليد عين ماضي بالأغواط (1150ه/1737م)،أحصى لها الفرنسيون في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر 17 زاوية و100 مقدم و 11082 مريد**[[6]](#endnote-6)**.دخلت الطريقة إلى البلاد التونسية مطلع القرن التاسع عشر على يد سيدي إبراهيم الرياحي حيث كانت أول زاوية للطريقة بالبلاد التونسية،تركزت أولا بالحاضرة ثم غزت الجنوب فأسست سنة 1814م زاوية بتوزر،في حين لم تظهر لها زوايا في النصف الشمالي إلا في مطلع النصف الثاني من القرن 19م منها زاوية الشاوش صالح بباجة سنة 1846م وأخرى ببنزرت سنة 1860م وبباب المغارة سنة 1875م وزاوية سيدي صالح التيجاني ببوعرادة،والتي ولد بها محمد الشريف التيجاني على الأرجح سنة 1886م.ومن نشاطات محمد الشريف التيجاني (1886-1942م) إصداره لثلاث جرائد هي: جريدة "المنصف" وهي جريدة علمية سياسية أسبوعية صدر عددها الأول في 20 أكتوبر 1907م.

- جريدة "خطيب العالم" وهي دورية أسبوعية سياسية أدبية إسلامية صدر عددها الأول يوم 04 جوان 1908م.

- جريدة التسامح وفيها إلتزم بمواقف معتدلة وكانت تسحب ما بين 900 إلى 1000 نسخة وتوقفت عن الصدور بداية جويلية 1909م .

- القادرية:تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني(1077م/1166م) الفقيه البغدادي الزاهد،وقد كان لهذه الطريقة التي ظهرت في المشرق عدة فروع تتصل بالزاوية الأم ببغداد.يعود دخول هذه الطريقة إلى الجزائر إلى الشيخ سيدي أبي مدين شعيب دفين تلمسان والمتوفى سنة 594 ه**[[7]](#endnote-7)** .وكان للطريقة القادرية في الجزائر عدة زوايا في زمورة والشلف وتيارت والوادي وورقلة والأوراس وكنتة،وقد أبلغها الدكتور سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي إلى 33 زاوية في نهاية القرن التاسع عشر ينتمي إليها 25 ألف مريد**[[8]](#endnote-8)**.بينما نجد من رموز القادرية من لم يحارب فرنسا بل حارب معها كمقدم زاوية ورقلة الذي قتل وهو يحارب مع الفرنسيين إخوانه الجزائريين سنة 1895.ولقد ظلت فرنسا راضية عن هذه الطريقة وزواياها بعد ذلك؛حتى التحق شيخها في وادي سوف الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي بركب الحركة الإصلاحية وتبرأ من بدع وخرافات وضلالات الطرقية،وحول زاويته إلى معهد لتعليم الإسلام واللغة العربية،فأغلقت فرنسا زاويته ورمت به في السجن؛ذلك أنها كانت تشجع زوايا الدجل والدروشة،وترى في زوايا العلم والمعرفة خطرا على وجودها ومناهضة لسياسة التجهيل والتغريب التي كانت تنتهجها كما سيأتي.وشيوخ القادرية كثيرون في الجزائر وأشهرهم في موضوع دراستنا الشيخ محمد الهاشمي الشريف بن إبراهيم بن أحمد الذي ولد سنة 1853م في نفطة بتونس وتلقى تعليمه الديني الإسلامي على يد والده وبتوجيه من والده شيخ الطريقة القادرية على منطقة الجريد التونسي انتقل إلى ناحية الوادي وأسس بها زاوية قادرية واستمر في نضاله إلى أن توفي عام 1923م وهو دفين مدينة البياضة بالوادي.وكذا ابنه عبد العزيز الشريف بن الهاشمي (1899 – 1965)م.وقد ظلت معظم زوايا الشرق الجزائري والجنوب ذات صلة بزاوية نفطة والكاف القادريتين ومؤسس زاوية نفطة هو أبو بكر بن أحمد الشريف،وهو تلميذ الشيخ المنزلي (نسبة إلى منزل بوزلفة بتونس) وقد تطورت الزواية بفضل جهود الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي حتى قال بعضهم أن تأثيره سنة 1897م وصل إلى غدامس وغات والجزائر وعين صالح وتوات وتيديكلت وله أتباع في بلاد الطوارق وعلى رأسهم الشيخ عابدين،وكان هذا الأخير هو مقدم الشيخ محمد بن إبراهيم وقد ترك إبراهيم أولادا تقاسموا برَكة والدهم على النحو الآتي:الأكبر منهم وهو محمد تولى الزاوية الأم بنفطة وأسس الهاشمي زاوية في عميش بوادي سوف وأصبح نائبا لأخيه،ونشط الهاشمي في تجنيد الأتباع ونشر الطريقة إلى أقصى الجنوب وربط علاقات مع السودان وغات.أما في تونس فإن الإخوة أسسوا بالإضافة إلى نفطة زوايا في المدن الآتية: قفصة (محمد العربي) الكاف (محمد الأزهر)، قابس (الحاج أحمد)،...وهكذا نرى أن زاوية نفطة القادرية قد تفرعت إلى هذه الفروع الصغيرة والكثيرة والتي ترجع في الواقع إلى عائلة واحدة،ولاشك أن انتشار هذه الفروع كان بإذن وترخيص من الفرنسيين،وتتصل زاوية نفطة بالسلسلة القادرية عن طريق الشيخ: " علي بن عمار المنزلي الشائب"، ولها ورد طويل قد يطول عن ورد الطريقة ببغداد.أما زاوية الكاف فقد أسسها محمد المازوني (الميزوني)،وقد لعبت دورا متعدد الجوانب.أما عن الشخصية القادرية التي جسدت طبيعة التواصل الروحي الذي كان قائما بين زوايا القطرين، فهي الضابط "ديبورتر Deporter " الذي أصبح يدعى "المواطن الصحراوي"،والذي عمل سنوات في صحراء الجزائر وتونس سيما في بسكرة ووادي سوف وغرداية وتوزر وقابس وقبلي،وكان ديبورتر من مواليد فرنسا وهو ابن أحد المستوطنين الفرنسيين في قسنطينة،وتعلم العربية في الوادي وتوزر،ثم دخل مصلحة الشؤون الأهلية،وتولى إدارة المكتب العربي في عدة مناطق كانت آخرها في الوادي سنة 1881م،ومن هناك شارك في الحملة ضد تونس واحتلالها عن طريق الجريد وتمغزة،وعمل فترة في جهاز الاستخبارات بتونس،وأثناء عمله في الوادي وتوزر ربط علاقات صداقة مع الشيخ محمد الكبير بن إبراهيم شيخ زاوية نفطة القادرية ومنذ أواخر القرن (19م)كانت الزاوية القادرية في توزر مهتمة بالتعليم أيضا،وكان صاحبها الشيخ إبراهيم هو أبرز شيوخ القادرية إلى جانب الشيخ الميزوني صاحب زاوية الكاف ويهمنا في زاوية توزر أن فروعها في الجزائر قد أصبحت نشيطة في الجهة الشرقية (تقرت- عميش–ورقلة )،ولعل أشهر هذه الفروع هو فرع عميش بالوادي،الذي كان على رأسه الشيخ الهاشمي بن إبراهيم المذكور سابقا، الشيخ الهاشمي الذي ولد في سنة 1853م وقبيل وفاته يبدو أن أباه قد نصحه بالعودة إلى ديارهم الأصلية بالجزائر،فرجع الشيخ الهاشمي إلى الجزائر في ثمانينات القرن (19م)،واستقر به المقام في وادي سوف سنة 1892م أين أسّس زاوية في البياضة وبالضبط في قرية عميش.إن هذا الشيخ كان قد سسن سنة طيبة وهي أن على من يتولى من أبنائه بعده شؤون الزاوية أن يكون متخرجا من جامع الزيتونة وهده السنة كانت جديدة على أهل الطرق الصوفية، فكانت مفيدة وتدل على عقل سليم ومتنور،وبالفعل كان وريثه هو ابنه الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الذي تخرج من جامع الزيتونة،هذا الأخير جند زملائه الجزائريين الذين درسوا معه في جامع الزيتونة ليكونوا معلمين في زاويته الجديدة،ورغم أن الفرنسيين قد قضوا على التجربة التي قام بها الشيخ عبد العزيز فإن أبناء الزاوية قد واصلوا التقليد الذي سنه الشيخ الهاشمي فكانوا من المتعلمين في الزيتونة وفي غيرها وبذلك استفادت منهم الحركة التعليمية بعد الاستقلال أيضا.قدر الفرنسيون عدد أتباع القادرية في الجزائر سنة 1906 بـ 25000 خوني و 33 زاوية**[[9]](#endnote-9)**

**2- موقف الدولة العثمانية من إندلاع الحرب العالمية الأولى:**

عند اندلاع الحرب العالمية بين دول المحور ( المانيا والنمسا والمجر ) ودول الحلفاء ( بريطانيا وروسيا وفرنسا ) اعلنت الدولة العثمانية الحياد تجاه الدول المتحاربة كما اعلنت حالة الإستنفار العام بحجة المحافظة على حيادها تجاه من يريد الإعتداء عليها.وقد استمرت حالة الإستنفار العام ثلاثة اشهر تقريبا كانت الحكومة فيها تتأرجح بين دخولها الحرب وعدمه وقد انقسم رجال الدولة الى قسمين :  
أحدهما كان يدعو الى دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا والآخر يدعو الى الوقوف على الحياد.   
وفي الواقع كانت هنالك حادثتين كان لهما الأثر الأعظم في دخول تركيا الى الحرب هما :  
 قبل اندلاع الحرب كانت تركيا قد أوصت أحد مصانع بريطانيا على صنع باخرتين حربيتين لها وقد دفعت ثمنها بواسطة الإكتتاب العمومي فتحمس الأتراك لهذا وباعت النساء حليهن ودفع الموظفون جزءا من رواتبهم من أجل تسديد ثمن الباخرتين .وعند اندلاع الحرب امتنعت بريطانيا عن تسليم الباخرتين الى العثمانيين مما أدى الى هياج الرأي العام في تركيا.ثم حدثت حادثة أخرى كان لها أهميتها القصوى هي أن طرادين ألمانيين إسمهما ( غوبن ) و ( برسلاو ) كانا في البحر المتوسط عند اندلاع الحرب فأخذ الأسطول البريطاني يطاردهما مطاردة عنيفة ثم استطاع الطرادان من الوصول الى مضيق الدردنيل فإحتميا فيه وبذلك تمكنا من النجاة من مطاردة الأسطول البريطاني .وكان الحياد يفرض عليها أن تطلب من الطرادين مغادرة المياه التركية خلال 24 ساعة وإلا فهي يجب أن تنزع عنهما سلاحهما وتحتجزهما في أحد موانئها .وهنا وقعت تركيا في ورطة كبيرة فهي من جهة لا تريد دخول الحرب ومن جهة أخرى لا تريد إفساد علاقاتها المتينة مع ألمانيا .فإجتمع مجلس الوزراء اجتماعا عاجلا مع السفير الألماني من أجل إيجاد الحل لهذه المشكلة عندها قرر مجلس الوزراء شراء الطرادين من ألمانيا وبهذا حلت هذه المشكلة.كما منحت تركيا الجنسية العثمانية للطاقم الألماني وعينتهم طاقما للطرادين بقيادة الأميرال الألماني ( سوشون ) فخلع هذا الأميرال مع بحارته قبعاتهم ولبسوا الطرابيش الحمراء إعلانا عن أنهم أصبحوا ضباطا رسميين في البحرية العثمانية .وكان ( سوشون ) يتحين الفرصة للخروج الى البحر الأسود بغية التحرش بالأسطول الروسي مأمورا بذلك سرا من قبل قيصر ألمانيا .ثم استطاع ( سوشون ) أن يخرج الى البحر بطراديه مع بضعة مراكب تركية في 29 أكتوبر1914 فقام بقصف بعض الموانئ الروسية ثم عاد الى اسطنبول بدون علم الدولة العثمانية .صادف أنه كان يوم عرفة الذي يسبق عيد الأضحى وكان رئيس الوزراء التركي سعيد حليم باشا يلتمس الراحة في قصره استعدادا لمراسيم العيد وفي الليل جائته البرقيات مستعجلة تخبره بأمر قصف الميناء الروسي ( اوديسا ) وأخذ الوزراء يتوافدون الى بيت الرئيس .وفي صباح اليوم التالي عقد مجلس الوزراء جلسة غير اعتيادية فكان أكثر الوزراء معارضين لفكرة دخول تركيا الحرب وحدثت مشادة بين الوزراء مما أدى الى تأجيل الجلسة الى المساء. اجتمع مجلس الوزراء مساءا في بيت شيخ الإسلام خيري أفندي واستمع الحاضرون الى اقتراح قدمه وزير التجارة اقترح فيه إرسال مذكرة الى الحلفاء يؤكدون فيها إلتزام تركيا الحياد وإعادة البعثة العسكرية الألمانية الى بلادها وبينما هم كذلك إذ دخل عليهم طلعت باشا وزير الداخلية مبينا خطأ الإقتراح والنتائج الوخيمة التي تنتج عنه مما أدى الى تأجيل الجلسة إلى موعد آخر .والغريب أنه في الوقت الذي كان الوزراء منهمكين في إيجاد حل للمشكلة صدر بيان من الحكومة التركية يصف حادثة البحر الأسود بخلاف حقيقتها مشيرا الى أن الأسطول الروسي هو الذي بدأ العدوان على الأسطول التركي . وبعد اصدار هذا البيان غادر السفير الروسي اسطنبول في 31 تشرين الاول 1914 وفي مساء اليوم التالي غادرها السفيران البريطاني والفرنسي وتلا ذلك اعلان روسيا الحرب على تركيا كما اعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب عليها ايضا.وعلى اثر ذلك عقد مجلس الوزراء جلسة فوق العادة وطلب فيها رئيس الوزراء من الوزراء أن يبدو رأيهم في الموضوع بصراحة بدون خوف أو محاباة .فبدأ اوسقان افندي وزير البرق والبريد إذ قال أنه يبغض الحرب وبأنه لا يستطيع التوقيع على قرار دخول الحرب ولذا فهو يقدم استقالته ثم تكلم بعده سليمان افندي البستاني فقال أنه يعارض الحروب بجميع اشكالها ولهذا فهو مضطر الى تقديم استقالته وتلاه شوروك صولو محمود باشا فقال : انه بناء على نظرة الارتياب التي ينظر زملاؤه اليه فانه يلتمس قبول استقالته ولم يكن جاوي بك وزير المالية حاضرا غير أن طلعت باشا قال انه كان عازما على تقديم استقالته .وهكذا غادر الوزراء المستقيلون المجلس وشرع الباقون في كتابة القرار الذي شرحوا فيه ضرورة دخول تركيا الى الحرب**[[10]](#endnote-10)  
3- الدين الإسلامي في الدعاية العثمانية- الألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى:**

دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا وأعلنت الجهاد ضد أعدائها.في مواجهة ذلك،انتهجت ألمانيا سياسة تقوم على استغلال هذا الجهاد لمصلحة أهدافها الإستراتيجية وإثارة العالم العربي ضد أعدائها.

يعتبر المستشرق ( ماكس فون أوبنهايم ) أحد كبار الشخصيات الألمانية التي لفتت الإنتباه إلى أهمية استخدام الجامعة الإسلامية والجهاد وصفة السلطان العثماني كخليفة من أجل استمالة الشعوب الإسلامية الخاضعة لبريطانيا وفرنسا وروسيا وتوظيف ذلك في انتفاضات تنهك هذه الدول وتشغل قواتها في حال إندلاع الصراع بينها وبين ألمانيا.عندما اندلعت الحرب أدرك أوبنهايم ضرورة وجود مؤسسة تتولى الدعاية لبلاده بين العرب والمسلمين فتقدم بمذكرتين إلى رئيس الوزراء الألماني بتمان هولفيغ في 18 آب 1914 ومذكرة ثالثة في مطلع تشرين الأول حول أهمية تحريض المسلمين على الثورة في مناطق العدو**[[11]](#endnote-11)**.في هذه الفترة،وإضافة إلى مستجدات نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين،كان الولاء التاريخي للدولة العثمانية وراء إلتفاف مسلمي المغرب العربي حول مركز الخلافة،وهو ولاء لا يمكن البتة اعتباره مندرجا في إطار حرص الوطنيين على استعادة استقلال بلدانهم في ظل الدولة العثمانية – كما كان الشأن في الفترة الحديثة - وإنما يهدف بالأساس إلى الإستفادة من نفوذ مركز الخلافة وثقله الديني والسياسي في إعانتهم على تحرير بلدانهم.إن ما يؤكد أهمية الدولة العثمانية في أذهان المسلمين،وقيمة مؤسسة الخلافة في المنظور الإسلامي أن ولاء المسلمين لها لم يكن له أبدا علاقة بضعفها أو قوتها،حتى أن ولاء المغاربة مثلا للدولة العثمانية لم ينقطع بانتهاء الحرب العالمية الأولى،ووجودها في صف المنهزمين،بل إن اندحارها وانكسارها مع حلفائها زاد في انشغال المغاربة بمصير مركز خلافتهم وتلهفهم على تتبع الأحداث والتطورات المتعلقة به،ولا أدل على صدى الأحداث التركية وانعكاساتها المباشرة على الرأي العام المغاربي من الرجة التي اهتزت لها نفوس المغاربة وخفقت لها قلوبهم من جراء الاحتلال اليوناني – في مارس 1920 – لعاصمة الخلافة.لقد كانت تلك التطورات وراء ردود فعل شعبية في كل من طرابلس الغرب، وخصوصا في تونس أي تظاهر الطلبة الزيتونيون أمام مقر الإقامة العامة احتجاجا على احتلال جيوش الحلفاء لعاصمة الخلافة، كما تتبعت الصحافة سير المعارك على التراب التركي، بحيث لم تنفرج الأوضاع إلا بورود أنباء انتصارات مصطفى كمال على الجيش اليوناني، فانتظمت الاحتفالات وأبرق التونسيون للكماليين، كما انبرى الشعراء مخلدين تلك الانتصارات المدوية، كما عرفت الجزائر نفس الأجواء الاحتفالية، وتتبع أهالي المغرب الأقصى أصداء الزحف التركي وتحرير البلاد**[[12]](#endnote-12)**.

4**- فرنسا تستغل الطرق الصوفية لمواجهة الدعاية الألمانية-العثمانية:**

أمام هذا الأمر،وأمام الجهل الذي تولد عن سبعين سنة من الإهمال للتعليم وتدجين العلماء الموظفين وتعميق التخلف العقلي لدى العامة،أكثر الفرنسيون من الطرق المستقلة ومنحوا الشيخ سلطات روحية على أتباعه بشرط أن يكون مواليا ومخلصا لفرنسا،ولما زاد الجهل إرتمى الجزائريون في أحضان الطرق الصوفية باعتبارها تمثل الدين وتعد بالخلاص بينما ارتمت الطرق الصوفية بنفسها في أحضان السلطة الفرنسية.وبناء على ذلك شهد عقد الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر نموا سريعا في عدد الزوايا والمقدمين والأتباع،فكان عدد الشيوخ حينها 57 شيخا و2149 مقدما و349 زاوية و2000 طالب و224141 من الأخوان حيث كان المجموع 300000 من الأخوان المنتمين للطرق.وببداية الحرب العالمية الأولى بحسب تحقيقات " دبون Dupont " و" كوبولاني Coppolani " سجلت الجزائر: 29 طريقة صوفية لها: 295185 مريد وعليها 57 شيخا و6000 مقدم وعندها 49 زاوية وتجبي من الأخوان 07 ملايين فرنك فرنسي...» إلى أن قالا: « وللمشايخ والمرابطين نفوذ عظيم ومكانة في الجزائر عند جميع الأهالي لاسيما البربر،وأن العلماء والمدرسين وأئمة المساجد... لا يكادون يكونون شيئا بالقياس إلى المرابطين ومشيخة الطرق،ولعل ما اتسمت به هذه الجمعيات الدينية من فعالية في ميدان الحياة الوطنية خلال القرن التاسع عشر أكسبها سمعة ذائعة الصيت وأحلها من الأمة محلا مقدسا مما جعل الغالبية تتشببث بها،وعن حظوتها داخل المجتمع الجزائري يذكر المدني مايلي «... كانت للطرق الصوفية بقطر الجزائر حظوة كبيرة ونفوذ عظيم وقد كان لها مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر تلك هي أنها إستطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات،فالزوايا الكبرى أمثال: معهد الهامل ومعهد اليلولي ومعهد سيدي منصور...هي التي كانت دائما تكوّن في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء وحفظة القرآن الكريم...ولكن بعد موت مؤسسيها وأفاضلها انقلبت من معاهد علم وإحسان وإرشاد إلى معاهد خرافات وأباطيل... وآل أمر الكثير منها إلى إحداث وثنية في الإسلام...وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط في كثير من النواحي يتصف بأوصاف الربوبية...»**[[13]](#endnote-13)**.وأمام ما آلت إليه الكثير من الطرق الصوفية أبرقت السلطات الفرنسية لهؤلاء تصر على ضرورة توجيه نداءات تحث على مواجهة الدعاية الالمانية وأخذ مواقف معادية لتدخل الدولة العثمانية في الحرب فكانت النداءات من طرف**[[14]](#endnote-14)**:

**-** نداء السيد محمد الكبير بن سيدي محمد الكبير إبن القطب الأكبر سيدي أحمد التيجاني لأحباب طريقة جده في جميع البلدان والتي جاء فيها على الخصوص:

 »يا أيها الأحباب... قد استقر في علمكم أن ألمانيا التعيسة جلبت هذه الحرب لجميع العالم بقصد توسيع ملكها واستعباد الأحرار وذلك لما اشتهرت به من التوحش والتجبر والكبرياء وقد قامت دولتنا العزيزة فرنسا ومعها إنجلترا وروسيا لرد ألمانيا وحليفتها النمسا عن مقاصدهما الفاسدة خدمة للعدل والحق والإنسانية والعجب العجاب أن دولة تركيا الضعيفة تداخلت في هذه البلية التي دفعتها إليها ألمانيا فحالفتها ولم تنتبه من غفلتها إلى عاقبة الامر التي فيها دمارها لا محالة والسبب في ذلك أن دولة تركيا الآن بيد عدة رجال من الحوز ترك لا يعرفون شيئا من الدين ولم يكن لهم من الإسلام إلا إسمه والشائع عنهم في جميع أفكار الدين أنهم باعوا بلادهم كامبراطور ألمانيا بالرنان الأصفر والعياد بالله من أمثالهم أما تركيا المسكينة فمثل الباحث عن حتفه ... على كل حال فإننا ننكر كل علاقة بيننا وبين الترك« . هذا وقد جاءت النداءات الأخرى مماثلة من طرف كل من : محمود بن سيدي محمد البشير،محمد البشير، محمد العروسي عن الزاوية التيجانية،المختار بن الحاج محمد شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية الهامل،سيدي عمور بن علي بن عثمان شيخ الطريقة الرحمانية في طولقة،سيدي محمد الصغير بن الشيخ مختار شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية أولاد جلال،محمد الهاشمي بن ابراهيم شيخ الطريقة القادرية في زوايا تقرت وعميش.واما عن تونس فقد كانت من كبار شيوخ طرق القادرية،الرحمانية والعيساوية إلى المقيم العام لفرنسا في تونس،محمد الصادق الباهي شيخ زاوية سيدي الباهي بتونس،محمد الحلفاوي شيخ زاوية سيدي الحلفاوي بتونس من الطريقة الشاذلية،الشيخ عبد الواحد المحرزي شيخ زاوية سيدي محرز بتونس،الشيخ الشادلي البكري شيخ زاوية سيدي البكري بتونس

**5- مدى نجاح الإدارة الإستعمارية الفرنسية في سياستها**

يبدو من خلال المصادر وعن الجزائر أن الدعاية العثمانية الألمانية كان أثرها محدودا ولم يكن للنداءات أثر إلا في بعض المناطق فثورة بني شقران سنة 1914 كانت جهادا ولكن في إطار وطني ولم يثبت أن لها علاقة بالدعاية الألمانية العثمانية ونفس الشيء يقال على ثورة الأوراس 1916.ولكن هذا لا يعني أن الجزائريين لم يؤيدوا العثمانيين في حربهم بل قد أيدوهم وتمنوا انتصارهم على فرنسا والحلفاء.فقد دعم سكان وادي ميزاب سنة 1914 الدولة العثمانية بأموال معتبرة من طرف سليمان باشا الباروني .أما ما لوحظ من تجنيد من طرف الجزائريين إلى جانب فرنسا فذلك يرجع إلى أن الأخيرة قد استعملت إزاء التجنيد الإجباري العديد من الوسائل كالدعاية والإغراءات المالية حتى تجند أعداد كبيرة منهم، خاصة وأنه في هذه الفترة شاع أمر ( التطوع الحر) في صفوف القوات الفرنسية. ويعود نجاح تجنيدها للآلاف من الجزائريين أيضا لإستعمالها الإرهاب المتطرف والقمع الشديد ودعاية سوداء والإغراءات ومن بينها المنح لمخصصة للمجندين وذويهم،إذ كانت المرتبات قبل 1919 تقدر بـ 250 فرنك للمدعوين العاديين،و 400 فرنك للمتقاعدين لمدة 4 سنوات وفي 13 أوت 1914 حولت منحة التقاعد لمدة ستة أشهر، وفي 15 جوان حولت منح التقاعد لمدة فترة الحرب بـ200 فرنك**[[15]](#endnote-15)** .

**خاتمة**

من خلال ما سبق، وبناءا على المصادر التاريخية،وتفسيرا لما تم الحديث عنه،مثلت الطريقة الرحمانية في الواقع أكبر الطرق في الجنوب الشرقي الجزائري، ولكن تم تقسيم قيادتها بين خطين متنافسين من المشايخ، وكانت بالتالي غير قادرة على لعب دور سياسي فعال . أما الطريقة التجانية فيبدو أنها كانت تأمل في تمديد نفوذها جنبا إلى جنب مع التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري والصحراء.وعلى هذا الأساس،أمل الفرنسيون في إقامة نوع من الشرعية لحكمهم في عيون رعاياهم من الجزائريين . أما الطريقة القادرية فقد كان لها أتباع في بعض المناطق في الجنوب الشرقي ولكنها ظلت صغيرة نسبيا . واقتداء بالتجانية سعى بعض زعماء هذه الطريقة الى توسيع نطاق نفوذها من خلال العمل مع الفرنسيين. وعلى هذا الأساس كانت مواقفهم من مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى وفق ما تم ذكره سابقا.

**الهوامش**

1. **-** صلاح مؤيد العقبي،**الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر:تاريخها ونشاطها**،الجزائر،دار البصائر،2009،ص.103 [↑](#endnote-ref-1)
2. **-** محمد حاج عيسى الجزائري،**نبذة عن تاريخ الطرق الصوفية في الجزائر**،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،2011،ص.15 [↑](#endnote-ref-2)
3. **-** **المرجع السابق،**ص.16 [↑](#endnote-ref-3)
4. **-** صلاح مؤيد العقبي**،مرجع سابق،**ص.105 [↑](#endnote-ref-4)
5. - محمد حاج عيسى الجزائري،مرجع سابق،ص.14 [↑](#endnote-ref-5)
6. - صلاح مؤيد العقبي،**مرجع سابق**، ص.119 [↑](#endnote-ref-6)
7. - **المرجع السابق**،ص.96. [↑](#endnote-ref-7)
8. - أبو القاسم سعد الله،**تاريخ الجزائر الثقافي** ،بيروت،دار الغرب الإسلامي،2009،ص.153. [↑](#endnote-ref-8)
9. - صلاح مؤيد العقبي،**مرجع سابق**، ص.120. [↑](#endnote-ref-9)
10. - رياض الصمد،**العلاقات الدولية في القرن العشرين**،بيروت،ددط،ص ص.122-125. [↑](#endnote-ref-10)
11. - عبد الرؤوف سنو، »**الإسلام في الدعاية الالمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الاولى «**، بحوث تاريخية،بيروت،ددط،2002،ص ص.179-254. [↑](#endnote-ref-11)
12. - أبو القاسم سعد الله،**الحركة الوطنية الجزائرية**،بيروت،دار الغرب الإسلامي ،ص ص.258-259 [↑](#endnote-ref-12)
13. - أبو القاسم سعد الله،**تاريخ الجزائر الثقافي،مرجع سابق،**ص ص.129-130. [↑](#endnote-ref-13)
14. - Les musulmans francais et la guerre,Revue du monde musulman,Paris,Ernest Leroux,1915,p.30. [↑](#endnote-ref-14)
15. - أبو القاسم سعد الله،**الحركة الوطنية،مرجع سابق**،ص ص.211-213 [↑](#endnote-ref-15)